(خطاب مجهول المصدر)

* داخل احدى العيادات الطبية الخاصة ، و فور خروج إحدى السيدات بعد انتهاء الكشف الطبى عليها ؛ القى الطبيب بجسده فوق كرسى مكتبه الذى يتضح من مظهره أنه من الطراز الحديث ، ظل مسترخيا فى حالة تدل على انه منهك للغاية ، لقد أعلن جسده بوضوح شديد عن رغبته فى ممارسة الميتة اليومية ، ستعلم ذلك فورا دون عناء ، عندما ترى عيناه المغلقتان ، و زراعيه المتدليان بجانبيه مثل فرعى شجرة ميتة ؛ بعد قليل طرق الباب ، اعتدل فى جلسته بهدوء ثم ازال عويناته الطبيه فظهرت عيناه الزرقاوتان ؛ دولفت الممرضه إلى الداخل ، بعدما اذن لها بالدخول

_ هل هناك حالات أخرى ؟

هكذا تسائل ، و هو يفرك عينيه

_لا يا دكتور ، السيدة التى تفحصتها منذ قليل ، كانت الحالة الأخيرة

نظر فى ساعة يده الذهبية التى أعلنت الثانية صباحا

_ حسنا .

قالها اثناء قيامه بخلع معطفه الابيض الناصع ، ثم بدأ يجمع اشيائه المتناثرةفوق مكتبه ، نظارته ، سجائره الاجنبية ، هاتفه المحمول باهظ الثمن ؛ لاحقته عند خروجه سريعا ، ثم اوقفته قائله :

_ دكتور جلال

توقف ، ثم التفت إليها بوجه ممتعض ، بدأت حديثها فى حرج واضح ، صرح به الاحمرار الذى غلف وجنتيها

_ انى فى حاجه شديدة إلى مبلغ من المال

أشار إليها بوجهه ان تسترسل حديثها

_ ابنتى تمر بحالة صحية سيئه ، تحتاج إلى عدة تحاليل و إشاعات

خرجت الكلمات بصعوبة بالغة من بين شفتيها

_ كم المبلغ ؟

تسائل أثناء اشعاله لفافة تبغ
_ ألفان جنيها
رمقها بنظرة ساخرة ، ثم أطلق دخان سيجارته الكثيف، الذى كون سحابة رمادية أعلى رأسها ، ثم قال :
_ كيف اقرضك مبلغا من المال يتخطى راتبك الشهرى ؟
كادت أن تقول شيئا ، لكنه اوقفها سريعا ، قائلا :
_ طلبك مرفوض ، لأنك لن تستطيعي اعادته
قالها ثم غادر سريعا ، تاركا خلفه امرأة سقطت فى بئر الذل ؛ بعد لحظات كان يقف امام سيارته السوداء الفارهه ، الذى قام بفتحها عن بعد عبر الريموت كنترول الصغير القابع بين أصابعه الناعمه ؛ و قبل ان يضع قدمه داخلها ؛ رن هاتفه فأجاب مبتسما :
_ مرحبا
_ كيف حالك حبيبتى ؟
_ انا أيضا أشتاق اليكى
_ نعم انتهيت من العمل
_ و سأقوم بالتحرك الان
فور انتهاء المكالمة ، و قبل ان يصعد الى سيارته ؛ وقعت عيناه على شئ اثار دهشته و فضوله ؛ دنا منه و امعن النظر ، كان مظروف ابيض اللون ، تم تثبيته
عند منتصف الزجاج الامامى للسيارة ، بإستخدام شريطة سوداء لاصقه ؛ بعد ثوانى كان يقرأ الخطاب داخل السيارة ؛ الذى كان محتواه كالتالى :
"لا تتعجب ؛ اعلم جيدا انك الان فى هذة اللحظة التى تقرأ عندها خطابى ، تنتابك حالة من الفضول الشديد ، و تتسائل عدة أسئلة دون الحصول على إجابة واحدة ، لكننى سأقوم بمساعدتك بقدر الامكان لكى تطمئن ، اولا هذا الخطاب من أجلك ، تجاهل تماما فكرة انها مصادفة او مزاح سخيف ، الا إذا كنت شخص آخر غير الدكتور جلال ، ثانيا لا ترهق نفسك و تهدر وقتك فى التكهن بهويتى ، لانك لن تصل الى اى شئ في النهاية سوى إرهاق نفسك دون جدوى ، أردت فقط ان أخبرك بي شيئا هام و خطير ، يؤسفى ان اخبرك يا صديقى إنك رجل عقيم ، اعلم انك

تبتسم الان ساخرا مما أقول بل أتوقع أيضا انك تنعتنى فى تلك اللحظة بالأبله ، لكن ذلك أمرا لا يغضبنى على الإطلاق ، لأننى اعلم جيدا ان مواجهة الحقائق أكثر بشاعة من مواجهة أسد جائع داخل إحدى الغابات ، انت تتسائل الان كيف يمكنك تصديق زعمى بأنك عقيم و انت لديك ولد يحمل اسمك ؟ ، سؤال جيد و لكن الصيغة الصحيحة للسؤال هى من هو والد الطفل الذى يحمل اسمك ؟ ، فى النهاية انت طبيب و تعلم جيدا كيف يمكنك التأكد من ذلك ، سأتركك الان و لكن اعدك ان نلتقى عن قريب لا تقلق "

الامضاء / م.ي.ح

عندما انتهى من القراءة ظل صامتا ينفث الدخان و الغضب يغلف وجهه ، ثم انعقد حاجبيه متسائلا فى دهشة

_ ماذا يقول هذا المخبول ؟

صمت لحظة ثم استرسل

_ م.ي.ح ماذا تعنى هذة الكلمات ؟ ، هل هذا اسم المرسل ؟ ، اذا قمت بتجميعها ستكون (ميح) ، بالطبع لا تعنى اى شئ ، لكن على الارجح ربما تكون إختصار لثلاثة كلمات لا أهتم لمعرفتها ، على كل حال لا يمكننى أن أتبع هذا الهراء.

قالها ثم قام بحرق الخطاب و غادر ؛ عاد منزله و الشك يحيط به من كل اتجاه ، قابلته زوجته صاحبة الوجه الاكثر اثارة من أنجلينا جولى بإبتسامة عريضة ، لكنه رمقها بنظرة صامتة خبيثة لا توحى بشئ يفهم

_ هل حدث شئ ازعجك ؟

هكذا تسائلت و هى تدنو منه بخطوات أنثوية بحته تدعو إلى زيادة النسل ، أجاب بهدوء مصطنع كلفه حرق عدد لا بأس به من أعصابه

_لا شئ

_ بالتأكيد هناك شئ ، لانك كنت فى حالة جيدةعندما حدثتني عبر الهاتف .

قالتها و هى ملتصقه به و فى اللحظة ذاتها كانت تمرر رؤس أصابعها فوق وجنتية ، لكنه أعلن عن عدم رغبته فى

خوض تلك الحرب ، حرب المتعه التى كانت تدعوه إليها باستراتيجية نسائية يتبعها معظمهن ، علمت ذلك فورا عندما تملص بحجة الخلود إلى النوم كما يفعل جميع الرجال ؛ فى صباح اليوم التالى او بالتحديدفى السادسة صباحا ، بعد مرور ثلاثة ساعات قضاهم مستلقيا فوق الفراش ، مغمض العينين لكى لا تشعر زوجته بشئ ، لكنه متيقظ نتيجة الخطاب الذى اصابه بحمى التفكير دون توقف ، دولف داخل غرفة الطفل المنغمس فى نوم عميق الذى تعتلى وجهه سمات البرائة الطفولية ، و ظل يترقبه فى صمت مميت و يتسائل فى قرارة نفسه و كأنه يخاطبه ، ماذا سأفعل اذا تأكدت انك ليس ابنى يا على ؟ ، لن استطيع تحمل تلك الصدمة ، و لكن كيف أصدق ذلك و انت تحمل بعض ملامحى و طباعى ؟ ، لكن لا عليك سواء كنت ابنى او لا فى كلا الحالتين انت لا ذنب لك فى ذلك ، لكن والدتك هى من ستدفع ثمن خيانتها ستكن حياتها هى الثمن ؛ بعد قليل كان يقود سيارته متجها إلى المشفى الحكومى الذى يعمل به صباحا ، و أثناء قيادته كان يتسائل بصوتا مسموع ، ماذا سأفعل الان ؟ ، لا استطيع ان أنتظر أكثر من ذلك ، على الرغم من ان مواجهة الحقائق مؤلمة و يخشاها الجميع ، لكنها تكن السبيل إلى راحة البال ، رن هاتفه فأجاب

_ مرحبا يا عمر

_ انا بخير

_ كيف حالك انت يا دكتور ؟

_لا استطيع اليوم ، سنلتقى فى وقت لاحق

قالها ثم جحظت عيناه و حك رأسه ، كمن تذكر شيئا هام ، ثم قال سريعا

_ حسنا..حسنا ، سوف أمر عليك اليوم فى معملك

ثم انهى المكالمة و بدأ يتحدث إلى ذاته ، كيف جعلنى الحزن اسهو ان صديقى عمرى يمتلك معملا عملاق للتحاليل ؟ ، فهو صديقى المقرب الذى استطيع ان أبوح إليه بما حدث‌معى دون خجل ، و من المؤكد انه سيحفظ السر دون ان يعلم أحد و ذلك ما كنت أخشاه بالتحديد، و

سيقوم أيضا بعمل التحاليل اللازمة و فحصها بإتقان دون شك ، وقتها سأكون مطمئنا من ان النتيجة صحيحة مئة بالمئة ؛ فى المساء و عندما همت الشمس على الغروب كان يجلس فى مكتب صديقه ، اللذان تتطابق ملامح وجههما و كأنه واحدا من ضمن الأربعون شبيها كما يقول البعض

_لا تصدق هذا الهراء

قالها صديقه الذى أوشك الصلع ان يغزو الجزء الخلفى من رأسه لكى تصبح مثل ثمرة البطيخ ؛ ثم استرسل

_ زوجتك لا تستحق منك ذلك

قالها و هو يفرك عيناه الزرقاوتان

_ هذا ما حدث يا عمر

قالها جلال فى حزن واضح

_ و اين هذا الخطاب ؟

_ لقد قمت بحرقه

_ اذن و ما الذى تنوى فعله الان ؟

حك جلال رأسه ثم أطلق سحابة كثيفة من الدخان

_ أريدك أن تقوم بمساعدتى فى ذلك

تناول المدعو عمر لفافة تبغ من علبة السجائر الخاصة بى جلال ، ثم اشعلها فى غضب

_ ألم تقلع عن التدخين منذ عام مضى !

قالها جلال مندهشا

_ لقد اثرت غضبى بهذا الحديث

_ سوف أمر عليك غدا بصحبة على ، لتأخذ العينات و تقوم بفحصها و تحليلها

_ هذا قرارك الأخير ؟

_ نعم ، أراك غدا .

قالها جلال ثم غادر ؛ عندماعاد إلى منزله فى المساء كان أكثر هدوءا من الخارج ، و لكن بداخله بركان ثائر يمكنه أن يحرق مدينة بأكملها.

_لا تقلقى غدا يا ندى ، اذا تأخر على عن موعد عودته من المدرسة

قالها جلال لزوجته التى انعقد حاجبيها و تسائلت فى دهشه

:
_ لماذا ؟
_ سوف اصطحبه لابتاع له إحدى اللعب ، و سوف أمر على عمر لاطمئن عليه ، لم التقى به منذفترة طويلة .
ابتسمت ندى غير مصدقه ما يقول ، ثم قالت بطريقة ساخرة إلى حد ما :
_ لم أتذكر انك فعلتها يوما !
_ لقد شعرت بالتقصيرتجاه ابنى ، هذا كل ما فى الامر
_ و لماذا لم تشعر يوماً بالتقصير تجاهى ؟
رمقها بنظرة ثاقبة ، ثم ابتسم فى خبث ذئب ماكر يحاول خداع فريسته
_ اعدك انى سوف أفكر فى هذا الأمر
كادت أن تتفوه بشئ ، لكنه قاطعها سريعا
_ احتاج إلى قسطا كافيا من النوم الان
قالها و هو يسعل ثم فر من امامها قبل ان تثرثر بشئ .
بعد خمسة عشر يوما كان يجلس فى مكتب صديقه الذى أخبره عبر الهاتف ، انه قد اطلع على نتيجة تحليل ال DNA الخاصة به و بطفله.
_ تأكدت الأن ان الوغد صاحب الخطاب كان يتلاعب بك ؟
قالها عمر فى ثقة
_ نعم ، لقد جعلنى هذا الملعون أشك فى زوجتى ، لقد عبث بعقلى حتى كدت أن افقده .
_لا تنسى انك رجل ناجح ، فمن البديهى ان يكون لك اعداء
_ انت محق فى ذلك ، و لكن لماذا فعل ذلك ؟
مط عمر شفتيه ثم اجاب فى حكمة
_ ما اكثر الحاقدين فى هذة الأيام يا صديقى
_ تعلم حتى انا احقد عليك .
قالها عمر ثم أطلق ضحكة عالية ، متعمدا ان يغير دفة الحديث ، فأبتسم الآخر بدوره
_لا تقل ذلك ، انت صديقى المقرب يا عمر ، و لن انسى مساعدتك لى فى تلك المحنة .
_ نعم ، لكنى أوشكت على الصلع الكامل ، و انت لازلت

تحتفظ بفروة رأسك كاملة .
قالها ثم ظلا يضحكان بصوتا مرتفعا لمدة عشر ثوانى متتالية
ثم قال جلال
_ هذا شئ جيد ، حتى لا يخطئ الناس فى التفريق بيننا كما كانوا يفعلون منذ الصغر .
ساد الصمت لثوانى ، ثم انفجر عمر فى الضحك ، محاولا ان يلتقط أنفاسه من حين إلى آخر
_ من المؤكد انك تذكرت شئ .
قالها جلال و هو يشير إليه بسبابته ، فأجابه عمر الذى يحاول أن يتوقف عن الضحك
_ نعم..نعم
ثم هدأ قليلا و أضاف :
_ تذكرت عندما كنا فى المرحلة الإعدادية و دولف مدير المدرسة داخل الفصل بصحبة تلميذة، و كان ممسكا بخطاب غرامى فى يده ، و سأل اياها من الذى القاه اليكى ؟ فأشارت اليك ، و اذا به يرفع كف يده الغليظ و يهوى على وجهك ، ظللت انت تبكى و تصيح فى وجه الفتاة لست انا..لست انا ، وقتها تدخل المعلم فورا و انقذك من الصفعة التالية ، موضحا أنه هناك تلميذ آخر شبيها لك ، حالفنى الحظ وقتها اننى كنت متغيب ، هههههههه
_ نعم أيها الأحمق ، لن انسى تلك الصفعة حتى الأن .
قالها جلال بوجه متجهم و هو يمرر أصابعه فوق وجنتيه اليسرى ، ثم أضاف ضاحكا :
_ لكن المدير أعتذر لى و الفتاة أيضا ؛ و ابرحك ضربا عندما عودت فى اليوم التالى .
ضحك الآخر و قال :
_ هذة فائدة ان يكن لك شبيه
فى تلك الليلة عاد جلال مبتسما حاملا باقة من الورود الحمراء ، التى ساعدته فى ارضاء ندى زوجته بالإضافة إلى بعض الكلام المعسول و الغزل ، ثم انتهى الأمر فى الفراش حيث التواصل الحميم ، ثم غط فى نوم عميق .

فى الصباح استيقظ مبتسما تغمره السعادة ، لقد تم قطع شكوكه من جذورها و أطمئن قلبه ، قضى يومه فى العمل كالمعتاد ، ثم انتهى عند بداية اليوم التالى فى تمام الثانية و النصف صباحا ، غادر عيادته و هو فى حالة مزاجية رائعة ، حتى انه قال فى نفسه..ان ذلك اليوم من أجمل أيام حياتى.. ، لكنه لم يكن يعلم أنه عكس ذلك تماما ؛ صدم عندما دنا من سيارته و وقعت عيناه على شئ يعرفه جيدا ، خطاب آخر مثبت بنفس الطريقة ذاتها التى تعلمها انت ، عزم على تمزيقه لكن فضوله جعله يتراجع فى اللحظة الأخيرة .

" كيف حالك الان ؟ ، هل طمئنتك نتيجة التحليل المحرفة التى اطلعك عليها صديقك ؟ ، انى اتفق معك فى إننا جميعا نسعى بإستماته الى إثبات صحة ما نوده أن يكون ، حتى و ان كان مزيفا لا يمت للحقيقة بصلة ، لكننا نكتفى بإرضاء أنفسنا و تخدير ضمائرنا و قتل الوحش المفترس بداخلنا المدعو الشك ؛ اعلم انك تتسائل الان ماذ اقصد بالظبط مما اقول ؟ ، سأخبرك الان لكن ارجوك ان تتماسك جيدا ، اولا ليس بدليل قاطع ان يكون الطفل ولدك لمجرد انه يشبهك قليلا او كثيرا ، فهناك شخصا آخر تتطابق ملامحك معه بشدة و مع ذلك فهو صديقك و ليس ابنك ، ثانيا كان عمر مجبرا على إثبات حقيقة زائفة لكى لا تكتشف حقيقة أمره ، هذا كل شئ و اذا قررت ان تتحلى بالشجاعة و تواجه الحقيقة كما هى ، كل ما عليك فعله هو ان تقوم بإعادة التحليل فى اى مكان آخر ، وقتها فقط ربما ستفهم معنى كلماتى ، التى ستضئ لك العتمة التى تحيط بك من كل اتجاه.

الامضاء / م_ي_ح

عندما انتهى من القراءة لم يستطيع أن يتمالك أعصابه ، هوى بيده اليسرى فوق زجاج الباب الايسر للسيارة فتحطم فورا و تحول إلى فتات ، سالت الدماء من يده ، فى تلك اللحظه ظهرت الممرضة

_ ماذا حدث يا دكتور ؟

قالتها بعينان جاحظتان يملئهما الهلع

_لا شئ .
قالها متجنباالإفصاح عن السبب
_ كيف و انت تنزف ؟
_ اذهبى انتى الان .
_لا يمكننى أن اتركك هكذا .
قالتها بإصرار شديد ثم اصطحبته الى العيادة ، بعد قليل كانت قد قامت بعمل الإسعافات الأولية اللازمة لتطهير الجرح
_ الحمد لله ، الجرح سطحي
قالتها و هى تغلف يده بالشاش الطبى ، ثم تسائلت :
_ انت بخير ؟
_ نعم
أجاب و هو يتأملها فى حزن ، ثم أضاف :
_ أشكرك كثيرا
_لا داعى للشكر يا دكتور ، هل تحتاج إلى شيئا اخر ؟
هكذا تسائلت و هى تحمل حقيبة يدها
_ انتظرى لحظة
قالها ثم أخرج بعض النقود من جيب سرواله و بسط زراعيه تجاهها
_ ما هذا يا دكتور ؟
_ هذه هى النقود التى قمتى بطلبهم منى منذ أيام
_ عذرا لا يمكننىقبولها
_ هى ليست من أجلك ، بل هدية بسيطة لطفلتك ، أعلم انى أسأت اليكى ، لكنى أعتذر .
دمعت عيناها و ترددت قليلا ثم أخذتها فى النهاية و غادرت ؛ حدثته ندى عبر الهاتف لتطمئن عليه و تسائلت عن سبب تأخره عن موعدعودته ؟ ، فأخبرها أنه تلقى مكالمة هاتفية من المشفى تخبره بأن هناك حالة ولادة مستعصية و يجب ان يذهب ليتولى الأمر ، و اخبرها أيضا انه عندما ينتهى سيخلد الى النوم فى مكتبه هناك ، حتى الصباح ليستأنف عمله من جديد، انهى المكالمة ثم ظل جالسا فى عيادته حتى شروق الشمس ثم غادر ، فى هذا اليوم قام بعمل التحليل للمرة الثانية داخل أحد المعامل ،

بعد مرور خمسة عشر يوما كانت الصدمة الأولى ، عند استلامه النتيجة التى أكدت انه لا يستطيع الإنجاب ، قام بقراءة الخطاب عدة مرات حتى أصبحت الصورة شبه مكتملة فى عقلة ؛ قال محدثا ذاته :
_ هذا يعنى ان زوجتى العاهرة قامت بخيانتى مع صديقى النذل ، نعم هذا ما اراد هذا المجهول ان يخبرنى به بطريقته الملعونه هذه لكن لا يهم ؛ اذن فلتذهبان الى الجحيم سويا اللعنة عليكما ، لكنك يا على لا ذنب لك فى ذلك .
قالها محدثا صورة الطفل الذى يبتسم فى وداعه
_ لكنى لازلت احبك ، و لا يصدق قلبى الا انك ولدى الذى قمت بتربيته و أحببته بصدق ؛ ماذا سأقول لك عندما تسألنى عن العاهرة التى لا تستحق ان تكون والدتك ؟ .
قالها و عيناه غارقة فى الدموع الثائرة بلا توقف التى سالت فوق قميصه مثل الأمطار
_لا يمكننى ان اتركك وحيدا ، انا و انت لا ذنب لنا فى ذلك ، لكن لا تقلق فسوف اصطحبك معى إلى مكان آخر ، لنبدأ سويا حياة جديدة آمنه بلا خيانة .
قالها ثم أدار محرك سيارته و غادر ؛ فى المساء عندما غادر عيادته وجد خطابا آخر
" انت الأن أصبحت تعلم كل شئ ، و لكنك لازلت تبحث جاهدا داخل أعماق عقلك ، عن طريقة حكيمة تجعلك تنتقم منهما دون ان تمس بسوء ، فأنت طبيب معروف و تخشى الفضائح ، و لا تريد أيضا ان تقع تحت طائلة القانون ؛ لا تتعجب كثيرا من انى استطيع قراءة افكارك هذا ليس بدليل على ذكائى ، بل لأنى خارج دائرة الأمر و هذا يتيح لى ان أرى المشكلة من جميع جوانبها ، و أقوم بتحليلها بالعقل دون ان تتحرك مشاعرى لتشوش قراراتى هذا كل شئ ، انا اتعاطف معك كثيرا و لذلك سأقوم بمساعدتك مثلما افعل دوما معك ، و سأقدم لك الحل السحرى الذى لم تحظى بالوصول إليه وحدك ، انصت إلى جيدا و ثق بى فأنا الوحيدالذى لم اخدعك حتى الأن ، افعل ما سأخبرك به و اترك الباقى لى ، قم بتجهيز أوراق سفرك بعد يومين

إلى اى دولة تريدها و اختر موعد السفر فى المساء ، لكى تكون انتهيت من كل شئ قبل موعد الطائرة بساعتين على الأقل ، حيث تتمكن من الفرار قبل اكتشاف الأمر ، أخبر زوجتك اليوم انك ستذهب خارج البلاد بعد يومين لحضور مؤتمر طبى فى بلدة ما كنوع من التمويه ، اذهب إلى صديقك فى الصباح و أخبره بنفس الشئ لكى تؤكد حديثك مع زوجتك ، لأنهما بالطبع يتواصلان مع بعضهما البعض فيطمئن قلبهما ، بأن خبر سفرك صحيح مئة بالمائه ، ربما سيعرض إحداهما عليك اصطحابك الى صالة المطار لتوديعك ، وقتها يجب ان ترفض بأى حجة مقنعه تختارها انت ؛ و عندما يأتى ذلك اليوم سوف تغادر منزلك فى السادسة مساءا و تترك هاتفك لسبب معين سأخبرك به الأن ، عند السادسة و النصف ستقوم بالإتصال بزوجتك عن طريق شريحة الاتصال التى وضعتها لك داخل المظروف ، و تخبرها انك نسيت هاتفك و تطلب منها ان تقابلك فى صالة المطار لتعيده لك ، و عندماتنهى المكالمة ستقوم بالاتصال بصديقك و تخبره انك تريده ان ياتى لك عندصالة المطار ليأخذ سيارتك ، و انك نسيت ان تخبره بذلك عندماقابلته ، و بالطبع ستخبره بأمر نسيانك للهاتف لأنه سيتسائل عن ذلك ؛ لا تقلق أولا تلك الشريحة ليست مسجلة فى شركة الاتصالات التابعه لها ، ثانيا انت لن تقابلهما فى صالة المطار بل فى مكان آخر ، دونت لك عنوانه فى الورقة الصغيرة التى تغلف الشريحة عندك ، ستذهب إلى ذلك المكان فى تمام السابعة ستجدهما مكبلان و كل شئ جاهز فى انتظارك ؛ كل ذلك من أجل إبعاد اى شكوك أو إتهامات ضدك ، افعل ما شئت بهما و بعد أن تنتهى ستجدنى لكى اودعك قبل ان تغادر ، سأتركك الأن لتقوم بمهمتك بهدوء و حكمة ، و لا تنسى بعدما تغادر خارج البلاد ان ترسل دعوة لصديقك المخلص الذى ساعدك لكى اقوم بزيارتك هناك .

الإمضاء / م_ي_ح

انتهى من القراءة ثم بحث داخل المظروف فوجد الشريحة مغلفة بورقة صغيرة فعلا ، فتحها و قرأ العنوان

المدون بها ثم عاد إلى منزله شاعرا بالإنتصار ؛ انفق اليوم الأول فى تجهيز أوراق السفر ، قام بإختيار عشوائى لدولة لا تجعله ينتظر أكثر من يومين ، و فعلها بناءا على خطة قام برسمها و ترتيبها فى عقله ، بعدما ظل مذبذبلو بداخله بندول يتأرجح ما بين الإقبال على قتلهما و بين التراجع ، لكنه فى النهاية اتخذ قرارا حاسما بأنه سيقوم بقتلهما و قتل الرجل المجهول صاحب الخطابات الملعونه كما ينعته دوما لكى لا يترك اثرا خلفه ، بالنسبة للطفل قام باعداد أوراقه جيدا لكى يصطحبه معه إلى تلك الدولة ، و من هناك سيقوم بالسفر إلى إحدى الدول الأوربية ليستقر هناك بصحبة الطفل ؛ ثم جاءت اللحظة الحاسمة عندما وصل إلى ذلك المكان المذكور فى تمام السابعة مساءا ، وجده مصنع مهجور تغلفه الاتربه يقع وسط صحراء شاسعة ، لا تسطيع سماع شئ هناك سوى عواء الديابه و صوت الرياح التى تصطدم بجسدك بقوة حتى تكاد ان تطرحك ارضا ، فتجبرعلى كتم انفاسك لتستمع اليهما فى هلع و توجس ، و قلبك يثب داخل صدرك يكاد ان يفر و يتركك تواجه المجهول وحدك ، استطاع فى النهاية ان يتمالك نفسه و دولف الى الداخل متجاهلا كل ذلك ، محدثا ذاته بأنه رجل ينتقم لشرفه لا اكثر فلماذا يشعر بالخوف ! _ مرحبا بكما فى الجحيم .

قالها ضاحكا بسخرية فاتحا زراعيه على مصراعيهما ، موجها كلماته إلى زوجته و صديقه الجالسان فوق كرسيان من الخشب ، و تقيدهما الحبال الملتفه حول اجسادهما مثل الافاعى ؛ انعقد حاجبيه فورا عند سماعه صوت نهنه ، و ظل يسترق السمع محاولا تحديد مكان الصوت القادم من احد الاتجاهات الذى لازال يجهلها ، متجاهلا صوت الهمهمة الصادر منهما نتيجة لأفواههم المكممة ، فجأة جحظت عيناه و توقف عن تمرير بصره فى ارجاء المكان ، عندما وقعت عيناه على صاحب الصوت الذى كان الطفل المدعو (على) ، ارتعد جسده عند رؤية الحبال الملتفه حول جسده و فمه المكمم ، هرول فورا إليه و قام بتحريره ثم احتضنه سريعا ، أطلق الطفل صرخة قوية و

انفجر فى بكاء شديد ، ربت الاخر على كتفه بحنان لا يليق بى أب غير شرعي ، ثم حمله متجها إلى الخارج ، كان الطفل بدأ ان يهدأ تدريجيا حتى اوشك على التوقف نهائيا عن البكاء ، ثم فجأه أطلق صرخة مرتفعة تردد صداها داخل المكان الخالى تماما الا من الرهينتان ، التى افزعته رؤية إحداهما فصاح بوجهه و هو يربت على كتفه بقوة
_ أبى.....أبى ، انها أمى هناك ، انتظر ارجوك .
لكن الاخر ظل سائرا و لم يجيب
_ توقف يا أبى....توقف
قالها أثناء محاولته للتملص منه لكى يذهب إلى والدته ، لكن الاخر أحكم زراعيه ضاغطا على جسده حتى كاد أن يهشم عظامه ، بعد لحظات ألقى به داخل السيارة بهدوء ، و أخبره بنبرة حادة ان يظل جالسا دون ان يحرك ساكنا حتى يعود إليه ، استجاب الطفل له بعدما نظر إلى عيناه التى كانت تشبه عينى أسد غاضب إلى أبعد الحدود ، عاد اليهما فورا ليقوم بإنجاز مهمته سريعا ، ازال الكمامه التى كانت تقيد فم زوجته البائسه فصرخت فى وجهه
_ ماذا تفعل يا جلال ؟ ، كيف تفعل ذلك بزوجتك ؟ ، هل جننت يا أبله !
رمقها بنظرة ثاقبة ، ثم أخرج من جيب سرواله سكين ، و اشاح بها تجاه وجهها قائلا :
_ نعم ، لقد تخطيت جميع مستويات الجنون ، منذ علمت بخيانتك أيتها العاهرة .
_ ماذا تقول يا أحمق ! ، انا أمتلك من الشرف ما لم تملكه أمك .
قالتها بوجه ثائر يشبه كثيرا وجه لبواء ظفرت بصياد يحاول سرقة أحد أشبالها ، ثم بصقت فى وجهه ، فأنقد عليها و ظفر بخصلاتشعرها بيدهاليسرى ، و بيده اليمنى هوى بنصل السكين على رقبتها ، فأطلقت صيحه مبحوحه تشبه كثيرا صوت المواشي عندذبحها ، كان صديقه عمر يترقب ذلك المشهد فى هلع واضح جاحظه عيناهمن هول الموقف حتى كادت ان تغادر محجرها ، حاول ان يحرر نفسه حتى إن استطاع أن يفر و هو مقيدبالكرسى كان

سيفعلها لكنه لا يستطيع بالطبع ، التفت إليه بعدما تأكد من انها رحلت عن الحياة ، ازال الكمامه عن فمه ثم نظر اليه بوحشية ، بينما الاخر ظل يتوسل اليه بعيون غارقة فى الدمع و وجه يملئه الفزع
_ اتوسل اليك لا تقتلنى ، لم أتذكر اننى قمت بإيذائك يوما ما ، حتى اننى لا اعلم لماذا جئت بى إلى هنا ؟
رمقه بنظرة نارية ثم أبتسم بسخرية
_ لأنك خائن ، قمت بتدنيس شرفى ، ثم قمت بخداعى و تضليلى ، لكى لا أكتشف خيانتك .
جحظت عينى الآخر
_ مؤكد هناك سوء تفاهم ، انا لا أفهم ماذا تقصد ! ، لكنى أقسم لك بأننى برئ مما تقول .
نظر له بغضب قائلا :
_لا داعى الان لأى دفاع كاذب ، لقد صدر الحكم النهائى .
قالها ثم قام بتسديد طعنة الى الجانب الأيسر من عنقه بكل قوته ، مما جعل نصل السكين يظهر من الجانب الآخر ، ثم سقطت الرأس أعلى الصدر معلنه عن رحيل الروح بلا عودة ؛ ركض هو سريعا إلى الخارج و الدماء تسيل من يده مثل جزار ، لكنه توقف فجأة و تصلبت أطرافه و جحظت عيناه و اعتلت وجه ملامح الفزع ، عندما اخترق أذنيه أصوات سارينة عربات الشرطة التى دوت فى ارجاء الصحراء ؛ لم يحاول الفرار لأن جسده تجمد من الصدمة ، بعد قليل كان يجلس داخل سيارة الشرطة مكبلا بالحديد، لم يستطيع ان يمنع عينه من النظر إلى الطفل الذى لم يكف عن الصراخ و البكاء ، منذ مشاهدة جثة والدته التى أخرجها رجال الإسعاف ؛ بعد عدة شهور و داخل المحكمة التى كانت تعج بالبشر ، كان يقف جلال داخل القفص الحديدى فى انتظار حضور القاضى للنطق بالحكم ، اقترب رجل قمحى اللون قصير القامة ذو لحية كثيفة ، يرتدى ملابس متواضعة لا تتناسق ألوانها ، خلع نظارته السوداء الكاتمة قائلا بصوت خافت :
_ كيف حالك يا جلال ؟
نظر إليه الاخر متعجبا

_ هل تعرفنى ؟
ابتسم الرجل بخبث
_ نعم ، انا م.ي.ح ، التى تعنى (مظلوم يستعيد حقه) .
صفع جلال القضبان الحديدية فى غل ، ثم صاح به
_ لماذا فعلت بى ذلك يا حقير ؟ ، و كيف ظلمتك و انا لا اعرفك ؟
_ أهدأ يا أحمق ، سأخبرك.
قالها الرجل و هو يبتسم بسخرية ، ثم أضاف :
_ فى يوما ما عندما وضعت زوجتى طفلنا الأول ، اخبرنى الطبيب بالبحث فورا عن مكان يقوم بعلاج الأطفال المبتسرين ، و ان الطفل لديه أيضا ثقب فى القلب ؛ و بالفعل قمت بالبحث حتى شاء القدر ان يكن ذلك المكان هو عيادتك الملعونة ، التى انشئتها من أجل الاستثمار ليس الا و لم تهتم حتى بزيارتها ، قمت بنقل الطفل بمساعدة سيارة إسعاف مجهزه حتى عيادتك ، و قمت بدفع مبلغا كبيرا من المال لكى يتم قبول الطفل ، ظل الطفل هناك لمدة أربعة أيام ، فى كل يوم كنت اذهب للإطمئنانعليه و دفع مبلغا كبيرا يتخطى راتبى الشهرى ، قمت بإقتراض المال من كل الاشخاص حولى ، و انا على يقين بأنى لن استطيع سداد تلك الديون ، لكنى لن ابالى بكل ذلك كان هدفى الوحيد ، هو ان يصبح طفلى على ما يرام ، و فى اللحظة ذاتها كنت اشعر بالحزن لأنه سيكبر يوما ما و يواجه ذلك العالم القاسى الذى يحوى أمثالك ؛ فى اليوم الرابع قمت ببيع أثاث منزلى للحصول على مبلغا من المال يكفى تكاليف علاجه داخل جحيمك ، و أخبرت المسؤل هناك أن ذلك المال آخر ما أملك ثم غادرت ، فى مساء هذا اليوم هاتفنى مسؤلك و اخبرنى بأن الطفل على ما يرام ، و يمكننى أن اصطحبه الأن ؛ و بالفعل هرولت الى هناك بصحبة زوجتى و كانت تغمرنا السعادة ، اعطانى الطفل و قال اننى يجب ان اذهب إلى طبيب متخصص فى علاج القلب ، خلال الليلة او بحد اقصى فى الصباح ، انتابتنى حالة قاسية من الخوف و القلق ، خشيت أن يحدث له شئ اذا اصطحبته الى خارج عيادتك ، خاصة

لأننى سوف أبدأ بالبحث عن طبيب متخصص لحالته ، و ذلك سيأخذ بعض الوقت ، طلبت منه ان أترك الطفل تحت الرعاية حتى الصباح ، لكنه اخبرنى بأنه لا يملك السلطة الكافية لفعل ذلك ، و بعد إلحاح شديد تعاطف معى و قام بالتحدث إليك عبر الهاتف ، بعدما أنهى المكالمة اخبرنى انك رفضت و قمت بتوبيخه ، و اخبرته ان العيادة لا شأن لها بذلك ؛ و بالفعل أخذت الطفل و قررت ان لا أنتظر حتى الصباح و ان اذهب الى الطبيب الليلة ؛ بعدما غادرنا جحيمك و أثناء طريقنا للبحث عن طبيب لم يمر من الوقت الا خمسة عشر دقيقة ، و فجأة أطلقت زوجتى صرخة عالية دوت فى أركان سيارة الأجرة ، لم استطيع نسيان ذلك المشهد حتى نهاية عمرى ، لقد تحول وجه الطفل و جسده من اللون الأبيض إلى الاسود الكاتم دون سبب واضح ، ظل قلبه يثب بداخل صدره حتى توقف نهائيا معلنا عن وفاته ، لم تسطيع زوجتى تحمل فقدانه لذلك لاحقته بعد ثلاثة أيام ؛ كيف للفقراء مثلى ان يعيشون فى عالم يتواجد به فاقدى الإنسانية مثلك ، تمتلكون من القسوة ما يكفى لقتل العالم فقط من أجل الحصول على المال ، انتم وحوش تفتقر إلى الرحمة لذلك لا يجب ان نكن رحماء فى الحكم عليكم .

توقف للحظة و هو يترقبه ، كان جلال يستمع إليه بإنصات ووجه شاحب تملئه الدهشه ، ثم رمقة الرجل بنظرة ثاقبة و قال :

_ على الرغم من كل ذلك ، لم أقم بإيذاء ابنك و هو فى حوزتى ، و كان بإمكانى ان افعل به ما شئت .

_ هل هو ابنى ؟

قالها فى حماس ممتزجبفضول شديد .....

كاد الرجل ان يجيبه ، لكن اوقفه صوتا غليظ دوى فى ارجاء القاعة قائلا :

_ محكمة

تركه الرجل فورا و جلس بين الحاضرين ، لا زال جلال يردد سؤاله :

_ هل هو ابنى ؟
لكن الرجل تجاهله تماما ؛ بعد مرور بعض الوقت كان القاضى ألقى الحكم فى قضية جلال ، بالإعدام شنقآ ؛ لكن المدهش حقا هو أنه لم يبالى بذلك ، كان ينتظر بشغف ان ينتهى القاضى لكى يتلقى الإجابة من ذلك الرجل المجهول .
_ اجبنى الان ، هل هو ابنى ؟
قالها جلال غاضبا لم يمنعه عن الرجل سوى القفص الحديدى لولا ذلك ، ربما كان أطبق يده حول عنق الرجل حتى الموت .
_ نعم
قالها الرجل و هو يدنو منه ، حتى تمكنت عيونهم من التلاقى ثم استرسل :
_ بالطبع انت لا تصدق .
انفجر جلال فى البكاء ثم قال بصوتا مبحوح
_ أنت كاذب .
ضحك الرجل ساخرا و قال :
_ هناك الكثيرمن الجشعين فى العالم ، الذين يعشقون المال مثلك .
ثم أخرج من جيب سرواله ورقة
_ هذة هى نتيجة التحليل الخاصه بك ، التى تثبت ان الولد ابنك ، لم تكلفنى كثيرا ، قمت بشرائها بثمن بخس ، لتستبدل بالأخرى التى استلمتها أنت ، التى كانت لرجل عقيم .
صرخ جلال بصوتا مرتفع
_ فلتذهب الأن إلى الجحيم يا دكتور .
قالها الرجل ثم غادر
(تمت)